

السيرة النبوية للبراعم

(١٩)

مَا أَحْسَنَ هَذَا الْعَامَ!

الدكتور

محمد عمر الحاجي



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ ؟!

تَعَالَوْا أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ الْبِرَاعِمُ لِنَرَى مَا هِيَ
الْأَحْدَاثُ الَّتِي وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ
لِلْبُعْثَةِ .

ذَاتَ لَيْلَةٍ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ قُرْبَ الصَّفَا ، فَرَأَى
النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَذَاهُ وَشَتَمَهُ ، وَنَالَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ
مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَ... !

فَلَمْ يُكَلِّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ جُدْعَانَ فِي مَسْكَنِ تَسْمَعُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ
أَنْ أَقْبَلَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مُتَوَشِّحًا
قَوْسَهُ ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ - صَيْدٍ - لَهُ ، وَكَانَ

حَمْزَةٌ صَاحِبَ قَنْصٍ يَزِمِيهِ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ
قَنْصِهِ ؛ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ
بِالْبَيْتِ ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ
قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ ، وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ
فَتَى فِي قُرَيْشٍ .

فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ ؛ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عُمَارَةَ !
لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ آتِئًا مِنْ أَبِي
الْحَكَمِ - أَيُّ : مِنْ أَبِي جَهْلِ - وَجَدَهُ هَا هُنَا
جَالِسًا ، فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ
انْصَرَفَ عَنْهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمَهُ مُحَمَّدٌ !!

... فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبِ ، وَخَرَجَ
يَسْعَى ، وَرَاحَ يَبْحَثُ عَنْ أَبِي جَهْلِ ، حَتَّى إِذَا
لَقِيَهُ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ،
وَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَفَعَ الْقَوْسَ فَضْرَبَهُ ،

فَشَجَّ رَأْسَهُ ، وَسَالَتِ الدَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ
قَالَ : أَتَشْتُمُّهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ ، أَقُولُ مَا
يَقُولُ ؟! فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ!

فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ
لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا
عُمَارَةَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ! قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا
قَبِيحًا.

... وكان لإسلامِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
دَوِيٌّ هَائِلٌ فِي صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ ، بَيْنَمَا كَانَ
فِي ذَلِكَ نَصْرًا لِلْمُسْلِمِينَ .

* * *

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!!

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ
يَدْعُو اللَّهَ قَائِلًا : « اللَّهُمَّ! أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ
هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ ؛ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ » .

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ حَمَلَ عُمَرُ سَيْفَهُ ، وَانْطَلَقَ
غَاضِبًا يَبْحَثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، يُرِيدُ
قَتْلَهُ .

وَذَلِكَ بِسَبَبِ هَذَا الدَّيْنِ الْجَدِيدِ الَّذِي جَاءَ
بِهِ ، وَقَبِيلُ أَنْ يَصِلَ سَمِعَ صَوْتَ رَجُلٍ يَقْرَأُ

أَمْرًا عَجَبًا! فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَمَاذَا يَقُولُ هَذَا
الرَّجُلُ ، لَعَلَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟!

وَمَرَّ نَعِيمٌ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ سِرًّا
- بِعُمَرَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ غَاضِبًا ؛ سَأَلَهُ : أَيَّنَ تُرِيدُ
يَا عُمَرُ ؟

فَقَالَ : أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئِ ، الَّذِي
فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا ، وَعَابَ
دِينَهَا ، وَسَبَّ آلِهَتَهَا فَأَقْتُلْهُ!

فَقَالَ نَعِيمٌ : وَلَكِنْ بَدَلَ أَنْ تَقْتُلَ مُحَمَّدًا ،
أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟!

فَقَالَ عُمَرُ : وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي ؟!

فَقَالَ : زَوْجُ أُخْتِكَ سَعِيدٌ ، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ ،

فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ ،
فَعَلَيْكَ بِهِمَا !!

وَكَادَ عُمَرُ أَنْ يُصَابَ بِالْجُنُونِ ، فَرَجَعَ
وَهُوَ يَقُولُ : أُخْتِي قَدْ تَرَكْتُ دِينَ الْآبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ ، وَاتَّبَعْتُ هَذَا الرَّجُلَ !؟

وَأَسْرَعَ نَحْوَ بَيْتِ أُخْتِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ
حَبَابُ بِنِ الْأَرْتِ وَمَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا مُقَدِّمَةٌ
سُورَةَ طه .

فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ عُمَرَ ، اخْتَبَأَ حَبَابُ ،
وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ ، فَخَبَّأَتْهَا ، وَلَمَّا
دَخَلَ عُمَرُ إِلَى الْبَيْتِ قَالَ لِأُخْتِهِ : مَاذَا سَمِعْتُ
أَنْفًا ؟

قَالَتْ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا !

فَقَالَ : بَلَىٰ وَاللَّهِ ! لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمْ تَابِعْتُمَا
مُحَمَّدًا عَلَىٰ دِينِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَضْرَبَ بِهَا
زَوْجَ أُخْتِهِ ، فَقَامَتْ أُخْتُهُ إِلَيْهِ لِتُدَافِعَ عَنْ
زَوْجِهَا فَضْرَبَهَا أَيْضًا ، فَقَالَا : نَعَمْ ، قَدْ
أَسْلَمْنَا ، وَآمَنَّا بِاللَّهِ ، وَرَسُولِهِ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ
لَكَ !!

فَلَمَّا رَأَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ عَلَىٰ وَجْهِ أُخْتِهِ ؛
رَقَّ قَلْبُهُ ، وَقَالَ لَهَا : أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّخِيفَةَ
الَّتِي سَمِعْتُمْكُمْ أَنِفًا أَنْظُرُ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ
مُحَمَّدٌ .

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : وَلَكِنَّكَ مُشْرِكٌ نَجِسٌ ،
وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ .

فَقَامَ فَاغْتَسَلَ ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ ، فَرَأَحَ
يَقْرَأُ فِيهَا بَدَايَاتِ سُورَةِ طه .

حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١) ،
قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ ، وَأَكْرَمَهُ !

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ ؛ خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ :
يَا عُمَرُ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ
بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ :
« اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ
بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ! » ، فَاللَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ !

(١) سورة طه : ١٤ .

فَقَالَ عُمَرُ : دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي أُرِيدُ
أَنْ آتِيَهُ وَأُسَلِّمَ...

فَقَالَ خَبَّابٌ : هُوَ فِي بَيْتِ عِنْدَ الصِّفَا مَعَهُ
فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ
فَتَوَشَّحَهُ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَصْحَابِهِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا
صَوْتَهُ ؛ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَنَظَرَ مِنْ خِلَالِ
الْبَابِ ، فَرَأَهُ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ .

فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ فَرِعٌ ، فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا
سَيْفَهُ .

فَقَالَ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَاثْنَدُنْ لَهُ ،

فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ خَيْرًا ، بَدَلْنَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ
شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْذَنْ لَهُ » .

فَإِذِنَ لَهُ الرَّجُلُ ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
حَتَّى لَقِيَهُ بِالْحُجْرَةِ ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ رِدَائِهِ
فَجَذَبَهُ جَذَبَةً شَدِيدَةً ، وَقَالَ :

« مَا جَاءَ بِكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ ؟ فَوَاللَّهِ ! مَا أَرَى
أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً » .

فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! جِئْتُكَ لِأُؤْمِنَ بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

قَالَ : فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنَ الصَّحَابَةِ :
أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ .

فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ ،
وَقَدْ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ
إِسْلَامِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

* * *

مَا أَرْوَعَهُ مِنْ مَوْتِفٍ!

أَمَّا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ
فَقَدْ دَخَلَ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، لَكِنُ
لَمَّا رَأَى مَا حَدَّثَ لِلصَّحَابَةِ وَعَلَى رَأْسِهِم
الرَّسُولَ ﷺ مِنْ تَعْذِيبٍ وَفِتْنٍ وَمَا إِلَى هُنَالِكَ ؛
انْطَلَقَ إِلَى الْوَلِيدِ ، وَسَحَبَ ذَلِكَ الْإِتِّفَاقَ ، فَمَا
كَانَ مِنْ أَحَدٍ صَنَارِيدِ قُرَيْشٍ إِلَّا أَنْ قَالَ أَمَامَ
النَّاسِ : إِنَّ هَذَا سَفِينَةٌ مِنْ سَفَهَاءِ قَوْمِنَا ، ثُمَّ
لَطَمَ عَيْنَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَمَا وَاللَّهِ يَا بَنَ
أَخِي ! إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَعْنِيَّةٌ ، وَلَقَدْ
كُنْتُ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ .

فَقَالَ عُثْمَانُ : بَلْ وَاللَّهِ إِنَّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ
لَفَقِيرَةٌ إِلَى مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللَّهِ! وَإِنِّي فِي
جِوَارٍ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ!
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *